المثل الشعبي وأهميته في المجتمع الجزائري

Popular proverb and its importance in the Algerian society

أ.الزهــراء عاشـور

جامعـــة أم البواقي

(***z-glow@maktoob.com***)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالمثل الشعبي وبيان أهميته، وإبراز خصائصه، وكيفية المحافظة عليه، وقد تناول ذلك من خلال محاور ثلاثة، نوّهت بكون هذه الأمثال خصوصية للأمة، تميزها عن سائر الأمم، وكونها خلاصة تجاربها الاجتماعية، وكونها تعنى بجميع مظاهر الحياة، وتبرز فيها الفلسفة الشعبية، وبينت دورها المهم في التوجيه والإرشاد في المجتمع الجزائري.

Abstract

This research aims to introduce the popular proverb and show its importance, highlight its properties, and how to maintain it, and it has addressed that through three axes, noted the fact that these parables are the privacy of the nation, that differentiates it from all other nations, being a summary of its social experiences, and being concerned with all aspects of life, and highlights the popular philosophy, and showed its important role in guidance and counseling in the Algerian society.

Rèsumè

Le proverbe populaire et son importance dans la société algérienne

Cette recherche vise à définir et de montrer l'importance du proverbe populaire. Elle essaye de révéler ses propriétés, ainsi que comment le préserver. Cette tentative a abordé ce sujet en trois axes. Ces derniers ont considéré le proverbe populaire comme propriété à la nation qui la distingue aux autres nations, en tant que répertoire de ses expériences sociales, ainsi, le proverbe est considéré comme le sens de la vie dans toutes ses manifestations où se révèle la philosophie populaire. Ces axes d'étude ont montré aussi le rôle important joué par le proverbe dans l'orientation et le conseil dans la société algérienne.

مقدمة:

يعتبر التراث الأدبي الشعبي جزءا من التراث الشعبي الذي هو ذاكرة الأمة الحية، وسجلها التاريخي في أحد أبرز أوجهه، فهو خصوصية الأمة التي تميزها عن سائر الأمم، وهو بصمات جماهيرها العريضة، بما فيها من إبداع وأذواق رفيعة، ومن تجارب تعكس آلامهم وأحلامهم البسيطة والعميقة في الوقت ذاته. يجسدونها في قصص وحكايات، أمثال وحكم، أشعار وأغاني، أهازيج ورقصات، نكت وفكاهات، حرف وصناعات، تقاليد وعادات. تجري كلها بينهم في حياتهم اليومية، فتختزن في الذاكرة الجماعية للشعب كلّه، فتصبح تراثا يورث جيلا بعد جيل.

والمثل الشعبي هو جزء من التراث الأدبي الشعبي، الذي يعتبر من أبرز عناصر الثقافة الشعبية في المجتمع، حيث يشكّل المثل الشعبي في هذا التراث خلاصة تجارب اجتماعية، في نطاق جماعي أو فردي، مستوحاة من محيط التعبير الشفاهي الفياض، الغني بالمعاني والدلالات.

يدخل المثل الشعبي في جميع مظاهر الحياة، فهو شكل تعبيري شفاهي، يتعلق بتعاملات الناس اليومية. حيث تستنطقه من الذهن الشعبي إلى الواقع الحاجة أو المعاناة، أو وجوب الحيطة والحذر وغيرها، فتبرز فيه الفلسفة الشعبية بحكمتها البليغة.

يمتاز المثل الشعبي بخصائص عديدة- لفظية ودلالية وفنية وإيقاعية، الأمر الذي جعله أوسع انتشارا، وأكثر رسوخا في الذاكرة الشعبية من غيره من أجناس التراث الأدبي الشعبي وأشكاله التعبيرية. فكان بذلك للمثل الشعبي دور بارز في إثراء الثقافة الشعبية الجزائرية، وأيضا دور في التوجيه والإرشاد في المجتمع الجزائري، من خلال الوظائف التي اضطلع بها في شتى المناحي: الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتربوية الأخلاقية وغيرها.

أولا: مفهوم "المثل الشعبي".

لغة: تتكون عبارة "المثل الشعبي" من كلمتين، وهما:"المثل" و"الشعبي".

مفهوم "**المثل**": جاء في لسان العرب المثل: التسوية والمشابهة. يقال: مِثْلُهُ ومَثَلُهُ ومَثِيلُهُ. أي شِبْهُهُ، وشَبَهَهُ، وشَبِيهَهُ. وجمع المثل أمثال، وجمع الأمثال أمثلة[1].

وجاء في قاموس محيط المحيط؛ هو القول السائر بين الناس الممثل بمضربه الذي هو الحالة المشبه بها التي أريدت بالكلام، ومورده وهو الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام[2].

والمثل في اللغة من الفعل مَثَلَ، مُثُولاً، فلانا: صار مَثَلَهُ. والتماثيل: صوَّرها. وفلانا بفلان: شَبَّهَهُ به، ومَثْلاً ومُثْلَةً بالرّجل، نَكَلَ. كأن ذلك مأخوذ من المثل، لأنه إذا شنّع في عقوبته جعله مثلا وعلما.[3]

وقد ورد لفظ "مثل" في القرآن الكريم في مواضع عديدة، جمع بين معنى الشبه والنظير والصفة والحجة وغيرها. قال تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا)[4]. وقال أيضا: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا..)[5]. وأيضا: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ..)[6].وأيضا: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ)[7].

كما ورد لفظ "**مثل**" في الحديث النبوي الشريف: في قوله(ﷺ) "مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبّهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي."[8]

أما كلمة "**الشعبي**": فهي نسبة إلى الشعب، إلى فئات الشعب المختلفة، أي مصدره الجماهير العريضة في المجتمع. فالشعبي هو ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب، إما في شكله أو مضمونه، وأية ممارسة

اتصفت بالشعبية تعني أنها من إنتاج الشعب، وبالتالي هي ملك هذا الشعب.

اصطلاحا: لقد اهتم كثير من الدارسين بالأمثال على وجه العموم، والشعبية منها على وجه الخصوص؛ حيث نقف على تعريفات كثيرة لها، تكاد تلتقي عند معنى واحد.

أما "**الأمثال**"، فقد عرّفها ابن عبد ربه بقوله:"هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني التي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كلّ زمان، وعلى كل لسان. فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل: أسير من مثل. وقال شاعر: ما أنت إلا مثل سائر***يعرفه الجاهل والخابر"[9]

ويعرّفها أبو هلال العسكري بقوله:"هي نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه، وليس من حفظ صدرا من الغريب فقام بتفسير قصيدة وكشف أغراض الرسالة أو خطبة قادرا على القيام بشرح الأمثال، والإبانة في معانيها".[10]

أما المرزوقي، فقد عرّف المثل بقوله:"هو جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كلّ ما يصح قصده بها، من غير تغير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني"[11].

أما الشعبية، فيعرفها أحمد أمين:"هي نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كلّ طبقات الشعب"[12].

كما يعرّف فريدريك زايلر "**المثل الشعبي**"، بأنّه "القول الجاري على ألسنة الشّعب، الذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي مكتمل، يسمو على أشكال التعبير المألوفة."[13]

يقول عبد الناصر كعدان:" المثل الشعبي هو تعبير عن نتاج تجربة شعبية، أدت إلى عبرة وحكمة، وهو أشبه ما يكون بالرواية الشعبية التي تقص قصة موجزة، فتسهم في تكوين وجدان الناس حين يلقنون أركان الحكمة الشعبية، ومعارج السلوك المستحبة"(14).

على أساس ما سبق، فإن "**المثل الشعبي**" هو القول الذي يجري على ألسنة الناس، بما يحمله من حكمة، تعبّر عن تجاربهم في الحياة بيُسرها وعسرها، وحلوها ومرّها، وبخيرها وشرها.

ثانيا: خصائص "المثل الشعبي".

يشترك المثل الشعبي مع غيره من أشكال التعبير في الأدب الشعبي في خاصيتين، وهما:

- كونه شفاهيا.
- مجهولية المؤلف.

ويمتاز المثل الشعبي بعدة خصائص ومميزات أجمع عليها الباحثون، وأوردها إبراهيم النظام في قوله:" يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، جودة الكناية. فهو نهاية البلاغة"(15).

إيجـاز اللفظ:

التعبير بألفاظ قليلة عن معاني ودلالات كثيرة، ومثال ذلك:

"أَزْرَعْ يَنْبَتْ" : يضرب هذا المثل في سرعة المبادرة، وعدم التماطل.

"الصَّابَرْ يْنَالْ" : أي من يصبر يتحقق مراده، وكل ما يناله.

"الشِّيبْ وَالْعِيبْ": يضرب هذا المثل في الشخص الذي يتقدم به العمر، ويتصرف تصرفات طائشة.

"عِيني مِيزَانِي": أي المرء بإمكانه الحكم على الأشياء بنفسه.

"الْهَرْبَة تَّسَلَكْ": يضرب هذا المثل في عدم مواجهة المخاطر والصعاب التي لا يستطيع المرء مواجهتها.

إصابة المعنى:

أي الدّلالة المباشرة على المعنى المراد بتلك الألفاظ القليلة دون زيادة أو نقصان، ومثال ذلك:

"الهَمْ يْشَيَّنْ": أي كثرة الهموم تؤثر في صحة المرء النفسية والجسدية، فينقص وزنه تبعا لذلك.

"الوَلْفْ صْعِيبْ": يضرب هذا المثل عندما يصعب فراق شخص ألفه الناس.

الصَّبَرْ يْجَبَّرْ": أي الصبر يداوي الآلام.

حسن التشبيه:

حيث يكثر التشبيه في الأمثال الشعبية، والتشبيه مطلب بلاغي، يزيد الأمثال الشعبية جمالا، ومثال ذلك:

"كِالقَطْ وَالفَارْ": يضرب هذا المثل في العداوة المتلازمة بين شخصين.

"كِالقُفَة بَلاَ يَدِّينْ": يضرب هذا المثل في الشخص الذي ليس له مُعين.

"قَطْ بْسَبْعْ رْوَاحْ": يضرب هذا المثل في الشخص الذي لا تهزمه الشدائد.

"يَظْهَرْ كِالهَلاَلْ": يُضرب هذا المثل في الشخص قليل الزيارة.

جودة الكناية:

حيث تجعل الكناية المثل الشعبي في قمة البلاغة، ومثال ذلك:

"يَاكُلْ فِي لَحَمْ المَيِّتْ": كناية عن الغيبة والنميمة.

"طَوِّيلْ بَلاَ خَصْلَه": كناية عن عدم الفائدة من الشخص.

"الزَّلْطْ وَالتَّفَرْعِينْ": كناية عن التكبر مع الفقر.

"الدَّارْ اللِّي فِيهَا دُخَّانْ مَا يْبَاتْ فِيهَا جِيعَانْ": كناية عن الكرم. لأنّ في الماضي كان الطهي بالحطب، فالدخان علامة الطهي.

إضافة إلى المميزات السابقة التي أشار إليها الباحثون، هناك مميزات أخرى كثيرة، انفرد بها المثل الشعبي عن سائر أشكال التعبير في التراث الأدبي الشعبي، منها:

الوحدة والتنوع:

أي الوحدة في المعنى والتنوع من حيث الألفاظ، فالمثل الشعبي الجزائري تأثر بالبيئات واللهجات المختلفة في ربوع الجزائر. حيث نجد أمثالا لها معنى واحد متفقا عليه، لكن بمفردات مختلفة. وهذا تبعا للهجات المختلفة، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا. ومثال ذلك:

"اللِّي فِيهْ نَقَّى مَا تَتْنَقَّى"، وفي بعض المناطق؛ "صَنْعَه فِي جَّبَلْ وَجَّبَلْ مَا يَتَّحَوَلْ": يضرب هذان المثلان في تحكم العادة في الإنسان.

"فَرْدَه وَلَّقَاتْ أُخْتَّهَا" : وفي بعض المناطق.

"طَنْجَرَه وَلَّقَاتْ غُطَاهَا" : يضرب هذان المثلان في تفاهم شخصين.

"اللَّسَانْ يَلَحْلَحْ وَالقَلْبْ يَذْبَحْ" : وفي بعض المناطق.

"فِي وَجْهِي مَرَايَا وَفِي ظَهْرِي مَّقَصْ": يضرب هذان المثلان في النفاق.

"بَاتْ مَعَ الجَاجْ صَّبَحْ يَّكَاكِي"- وفي بعض المناطق.

"بَاتْ مَعَ الجَّرَانْ صَّبَحْ يَّقَرْقَرْ"- يضرب هذان المثلان في التقليد الأعمى.

الوزن والإيقاع الموسيقي:

حيث يكثر السجع في الأمثال الشعبية، فما إن تنتهي العبارتان المتحدتان على وجه التقريب في الوزن والإيقاع حتى ينتهي المثل، ومثال ذلك:

"**الحُوتْ يَاكُلْ الحُوتْ، وَقْلِيلْ الجَّهْدْ يَمُوتْ**": يضرب هذا المثل في الشخص الضعيف الذي لا حيلة له مع الأقوياء.

"**الضِّيفْ ضِيفْ، شَّتَا وَلاَّ صِيفْ**" - أي الضيف وإن طال مقامه سيغادر الدار.

"**الْخَلْطَة ترْدِي وَالْجَرَبْ يَعْدِي**" - يضرب هذا المثل في الصحبة السيئة.

"**دْرَاهَمْ الحْرَامْ، يَرُّوحُو فِي الظَّلاَمْ**": يضرب هذا المثل في النفاذ السريع لمال الحرام.

"**دْرَاهَمْ لْمَشْحَاحْ، يَدِّيهُمْ المَرْتَاحْ**": يضرب هذا المثل في البخل.

التكرار:

حيث تمتاز الأمثال الشعبية بالتكرار لزيادة عنصر التأثير أو لتأكيد المعنى، ومثال ذلك:

"**كُلْ حَيْ قَسْمُو حَيْ**": يضرب هذا المثل للتفاؤل وعدم اليأس من رحمة الله.

"**صَحَابْ صَحَابْ وَالنِّيَة مَا تنْصَابْ**": يضرب هذا المثل في الخيانة.

"**دَرْجَة دَرْجَة حَتَّى يَجِيبْ رَبِّي الفَرْجَة**": يضرب هذا المثل في الصبر وطول البال.

"**صَبَرْ صَبَرْ كِتَّلاَحْ الطَّجِينْ كَفَرْ**": يضرب هذا المثل في الشخص المتسرع.

استخدام اسم الموصول بكثرة "الِّل" بمعنى "الذي":

ومثال ذلك:

"**اللِّي خَافْ نَّجَا**": يضرب هذا المثل في الحذر والحيطة.

"**اللِّي يَرْجَعْ عَلَى الجَرَّة يَتْعَبْ**": يضرب هذا المثل في عدم الندم على ما فات.

"**اللِّي ضَرْبَاثو يَدُّو مَا ثوجْعُو**": يضرب هذا المثل في تحمل الشخص مسؤولية اختياره.

"**اللِّي مَوَالَفْ بَالْحْفَا يَنْسَى صَبَاطُو**": يضرب هذا المثل في تحكم العادة في الإنسان.

"**اللِّي وَالَفْ عَادْ يَلَقَمْ**": يضرب هذا المثل في الطمع.

الارتباط بقصة أو حكاية:

حيث ترتبط بعض الأمثال الشعبية بقصة أو حكاية شعبية يغلب عليها في الغالب الجانب الخرافي الأسطوري، وهي الأمثال المعبّر عنها- أمثال شعبية- لها مَوْرِد، مثال ذلك:

"**الْجُرْحْ يَبْرَا يَا صَبْرَا، وَالْكَلْمَة مَا تبْرَا**": يروى أن زوجة حطاب مرض زوجها، فاتجهت إلى الغابة لتحتطب. فلم تستطع حمل حزمة

الحطب، فجاءها الأسد وعرض عليها المساعدة، فقبلت. ولما وصلت إلى المنزل، سألها زوجها مستغربا كيف حملت حزمة الحطب بمفردها. فروت له قصة مساعدة الأسد لها، على الرغم من الرائحة النتنة المنبعثة من فمه. فسمعها الأسد، فتألم لذلك. وفي المرة القادمة التقى بها وطلب منها أن تضرب رأسه بحجر حتى يسيل دمه، فرفضت ثم فعلت ذلك بإلحاح منه. وبمرور الأيام التقى بها الأسد سائلا إياها عن الجرح إن كان قد التأم، فأجابت بنعم. فردد الأسد هذا البيت الشعري الذي أُختصر في المثل السابق الذكر:

الجَرْحْ يَبْرَا يَا صَبْـــرَا وَدْاوِيـــهْ الضَّمِيـــدَه
وَكَلاَمْ العِّيبْ مَا يَبْرَا يَعْيَا وَيَوَّلِي ضَرْبَه جَّدِيدَه :

ويضرب هذا المثل في ضرورة مراعاة مشاعر الناس.

"**فِي رَجْلِي وَلاَّ فِي صَبَّاطِي لَحْمَرْ**": قصته أن رجلا بخيلا كان له حذاء واحد أحمر اللون، فكان يحرص عليه حرصا شديدا حتى لا يتمزق. فكان عندما يسير مسافات طويلة أو في طرقات وعرة المسالك بالصخور، ينزع حذاءه ويمشي حافيا. وكأن حالة يقول: تتأذى رجلي ولا يتمزق حذائي الأحمر : ويضرب هذا المثل في البخل.

الالتقاء بالمثل العربي الفصيح:

ومثال ذلك:

"**اللّي فِيهْ نَقَّى مَا تثنَقَّى**": يقابله المثل الفصيح:"غلب الطبع التطّبع".

"**مَا يَتْرَاوْجُو حَتَّى يَتْشَابْهُو**": يقابله المثل الفصيح: "وافق شنّ طبقة" أو "الطيور على أشكالها تقع".

"**خُوكْ مَنْ وَالاَكْ مَاشْ خُوكْ مَنْ أُمَّكْ وَبَابَاكْ**": يقابله المثل الفصيح: "رُبَّ أخ لك لم تلده أمك".

"**كُلْ عُطْلَه فِيهَا خِيرْ**" : يقابله المثل الفصيح: "في التأني السلامة وفي العجلة الندامة".

ارتباط بعض الأمثال الشعبية بمعاني قرآنية:

ومثال ذلك:

"**الصَّابَرْ يَنَالْ**": في قوله تعالى:"وَلَنَجْزِيَنَّ الذِينَ صَبَرُوا أَجْرُهَمْ بِأَحْسَنْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[16].

"**الدَّنْيَا بَالْوُجُوهْ وَلاَخْرَة بَالفَعَايَلْ**" : في قوله تعالى:" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَةٍ شَرًا يَرَه"[17].

كثرة مواضيع الأمثال الشعبية:

حيث تطرقت الأمثال الشعبية إلى جميع جوانب الحياة الإنسانية، فتناولت: المرأة، والعلاقة الزوجية، والإنجاب، والحظ، والصداقة، والقرابة وصلة الرحم، والجوار، والخيانة، وقيمة العمل، والوقت، والصحة، والفقر، والمسؤولية، والاقتصاد، والفلاحة وغيرها.

ثالثا: أهمية المثل الشعبي في المجتمع الجزائري.

تتجلى أهمية المثل الشعبي بما يحتويه من دلالات عميقة، تعكس عادات وتقاليد المجتمع في فترة من فترات تاريخه، لا سيما وأن المثل الشعبي ناتج عن تجارب الناس و تفاعلهم مع واقعهم المعيش، بما فيه من تناقضات وأزمات وأحزان وآلام وأفراح و لحظات سعادة.

وبما أن المثل الشعبي قد شكّل صورا عديدة لجوانب الحياة الإنسانية، فإنه أسهم بشكل بارز في رسم معالم الحياة الاجتماعية، ورصد أنماط السلوك، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فقد أسهم في تكوين بنية الثقافة الشعبية في المجتمع الجزائري، وإثرائهما من خلال وظائفه في شتى مناحي الحياة.

لقد احتل "المثل الشعبي" مكان الصدارة لدى مختلف الفئات الاجتماعية، حيث أصبح الوسيلة المفضلة في الإقناع والتوجيه والإرشاد والتربية. وهذا لسهولة تداوله وبساطة مضمونة، وقربه من عقول العامة ونفوسهم، وأيضا الخاصة الذين لا يتورعون عن الاستشهاد به في أحاديثهم. لهذا قيل:"إن المثل الشعبي أهم من الشعر والقصة، وأقرب إلى

الصدق في التعبير عن الظواهر الاجتماعية"[18]؛ لأن المثل الشعبي لا يهتم بالظاهرة في حدّ ذاتها، بل يتعداه إلى الاهتمام بالسلوكيات الكامنة وراءها.

وتكمن أهمية المثل الشعبي في أنه "يرتبط مع المتلقي بعلاقة من نوع مّا، هي عادة تمثل مخزونا موروثا، يلتقي مع صيغة المثل. أو بمعنى أدق يقوم المثل بتحريكه والكشف عنه، ولهذا تصبح لغة المثل منتقاة بعناية شديدة رغم عاميته. والمثل يمزج بين مضمون تاريخي واجتماعي واقتصادي وعقائدي، فهو حصيلة تجربة تشترك هذه المؤثّرات جميعا في صنعها. وهو منتزع من بيئة تصنعها هذه المؤثرات، وقد جرى أول ما جرى على لسان واحد من الناس، هو جزء من هذه البيئة. ومن هنا فهو يمثّل جدلية الإنسان مع واقعه، ومع تجربته، وهو يمثّل أحيانا نوعا من التنسيق في فترات القهر والظلم"[19].

وإذا جئنا نتلمس المجالات التي تطرق إليها المثل الشعبي في المجتمع الجزائري، نستكشف منها الكثير من العادات والتقاليد والطباع والأمزجة. وأحيانا التناقضات فيه، والتي تعكس تناقضات الحياة بمتغيراتها المختلفة.

كما اضطلع المثل الشعبي بدوره في التوجيه والتوعية والحث على كل ما فيه خير الإنسان، ومن الأمثلة على ذلك:

"**مُولْ الصَّنْعَه مَا يَّبَاتْ جِيعَانْ**" أو "**يَفْنَى مَالْ الجَدَّيْنْ وَتبْقَى صَنْعَةْ اليَدِّيْنْ**"[20].

فيه دعوة إلى تعلم الحرف، حتى لا يبقى الإنسان معرّضا للحاجة والفاقة، فالمال يزول وتبقى صنعة اليد.

" **قِيسْ قْبَلْ مَا تَّغِيصْ**": فيه دعوة إلى الإنسان ليزن كلامه قبل أن يتكلم، لأن "الكَلْمَه رَّصَاصْ".

"**المَعَاوْنَة تغْلَبْ السِّبعْ**": فيه دعوة إلى الاتحاد، ففيه قوة وغلبة على صروف الدهر.

"**العِينْ الكَّبيرَا مَا يَعَّمْرْهَا غِيرْ التَّرَابْ**": فيه دعوة إلى القناعة ونبذ الطمع.

"المَّلِيحْ يَوَفِي وَعْدُو، وَالحَايَرْ يَبْقَى وَحْدُو": فيه دعوة إلى الوفاء بالوعد، و أن الإنسان الذي لا يفي بوعوده يبقى لوحده في المجتمع.

"اللَّسَانْ لَحْلُو يَرْضَعْ اللُّبَّه[21]**"**: فيه دعوة إلى اللباقة وحسن التأدب مع الآخرين.

وإذا كان المثل الشعبي له إيجابياته، فله أيضا سلبياته؛ فهناك أمثال شعبية مبنية على أسس خاطئة، مخالفة لأسس المنطق السليم والشرع الحكيم، ومع هذا لاقت رواجا وانتشارا في المجتمع؛ وما لا شك فيه، أنها تعكس حالات استثنائية لنفوس مريضة، تبقى حالات شاذة لا يقاس عليها، ولا يؤخذ بها، ومنها الأمثلة الآتية:

"لَّفَسَادْ وَلاَ لَّقَعَادْ"؛ بمعنى أن الشخص يخرّب بدلا من أن يجلس دون أي عمل.

"اللِّي يَرَبِّي وَلْدْ النَّاسْ كَلِّي بَّنىَ دَارْ بَلاَ سَاسْ": وفيه دعوة إلى عدم التكفل باليتيم، وهذا مخالف للعرف، ولتعاليم الدين الحنيف. حيث يجعل النبي (ﷺ) كافل اليتيم رفيقا له في الجنة.

"كُلْ مَنْقُوصْ مَنْحُوسْ": أي كل شخص ذو عاهة فهو سبب في جلب النحس على الناس.

خـــــاتمة:

ما لاشك فيه، أنّ "المثل الشعبي" له أهميته باعتباره جزءا من التراث الأدبي الشعبي، الذي يمثل ذاكرة الأمة في أحد أوجهها، وكما يفقد الإنسان اعتباره وجزءا من تاريخ حياته بفقد ذاكرته، تفقد الأمة أيضا اعتبارها وماضيها بفقد ذاكرتها، أي بفقد تراثها على وجه العموم، وتراثها الشعبي على وجه الخصوص.

ونظرا لأهمية التراث الشعبي والأدبي منه في حياة الأمم، فإننا نجد الكثير منها اليوم تسعى جاهدة لإحيائه والمحافظة عليه، فمِن الصين التي تحيي طبّها الشعبي العريق، إلى الهند التي تحيي طقوسها الروحية لإشفاء

الأمراض الجسدية، وإلى الأمم الغربية كألمانيا وبريطانيا التي رصدت ميزانيات لإحيائه على مستويين:

أولا: على المستوى الشعبي، بتشجيع أصحابه، مصدر المادة الشعبية ودعمهم ماديا ومعنويا، خاصة أصحاب الفنون الشعبية، مثل: فرق الرقص الشعبي، وأصحاب الحرف والصناعات التقليدية.

ثانيا: على المستوى الأكاديمي، بفتح أقسام تخصصية في الجامعات، تهتم بهذا التراث، من حيث جمعه ودراسته وتدوينه، والبحث في كيفية تطويره ليكون مجالا خصبا للتعريف بتلك الأمة وتاريخها وحضارتها.

ولكي لا نفقد اعتبارنا وتاريخنا، ولا نكون أقلّ من الأمم التي تسعى اليوم جاهدة لإحياء تراثها. تُلقى على عاتق النخبة المثقفة في مجتمعنا خاصة والمجتمع العربي عامة مسؤولية كبرى لجمع هذا التراث ودراسته وتدوينه، والأهم من ذلك تقييمه وتقويمه من سلبياته، حتى يكون رافدا من روافد نهضتنا، وعنصرا فعالا نتجاوز به زمن الانتكاسة. وإذا كانت الثقافة العالمة لها أهميتها لدى الأمة، فالثقافة الشعبية كذلك. فكما يمكن أن تكون عنصر بناء، قد تكون معول هدم. خاصة إذا وقفنا على مدى اهتمام الغرب -في ظل العولمة الثقافية- بالثقافات الشعبية للعالم الثالث، لا سيما العالم العربي والإسلامي. حيث أصبحت تحلل حولها الأبحاث في الجامعات، وأصبحت مادة أساسية في أقسام علم السياسة في بعض الجامعات الأمريكية، مثل: هارفارد، وبرنستون. ومن هذه الأقسام يتخرج الدبلوماسيين الذين تُوكَل إليهم مهام العمل الدبلوماسي في هذه المجتمعات، التي يكونون على دراية جيدة بأدق تفاصيل حياتها، في الماضي والحاضر.

وإذا سلمنا بأهمية التراث الشعبي في التركيبة التاريخية والثقافية والحضارية للأمّة، وانطلقنا منه إلى ضرورة المحافظة عليه بإحيائه وتقويمه، فإنه يكون مجالا خصبا للتعريف بالأمة وحضارتها وثقافتها الشعبية منها أمام الأمم الأخرى.

وخاتمة القول أنّه ما دام الشعب حيا والشارع ينبض بالحياة، لن تندثر الأمثال الشعبية، بل ستبقى تتردد على الألسنة، وسيبقى الذهن

الشعبي في عطاء مستمر، ليخلّد بصمات الجماهير الكادحة في سجل التاريخ.

الهوامش والمراجع المعتمـــــــدة

(1) ابن منظور، لسان العرب، تقديم: عبد الله العلايلي. إعداد وتصنيف: يوسف الخياط. دار لسان العرب. بيروت. لبنان. مج(3). ص 436.

(2) بطرس البستاني، محيط المحيط.مكتبة لبنان- ناشرون.سنة 1993م.ص 828.

(3) لويس معلوف، المنجد في اللغة والإعلام.دار المشرق.بيروت.لبنان.ط(36). سنة 1997م.ص 746.

(4) سورة البقرة، آية(17).

(5) سورة الرعد، أية (35).

(6) سورة الزمر، أية (29).

(7) سورة يس، آية (13).

(8) حديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه- صحيح مسلم.مكتبة الصفا. القاهرة. مصر. ط(1).سنة 1424هـ/ 2004م. ج(1).ص 5.

(9) ابن عبد ربه، العقد الفريد.دار مكتبة الهلال. بيروت. لبنان. ج(1).ص 267 و268.

(10) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال.تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطايش. المكتبة العصرية صيدا.بيروت. لبنان.ط(1).سنة 1424هـ/2003م. ج(1) و(2).ص 14 و15.

(11) الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم. تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر. دار الثقافة.الرباط.المغرب.ط(1).سنة 1407هـ/1981م.ج(1).ص 20 و21 .

(12) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. مصر. سنة 1953م. ص 61.

(13) نقلا عن: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي. دار الطباعة. القاهرة. مصر.ط(3). د ت. ص 174.

(14) عبد الناصر كعدان، مقال: مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب ، على موقع على شبكة الأنترنت (www.islamonline.net)

(15) أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال. دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان.ط(1). دت. مج(1).ص 14.

(16) سورة، النحل آية (96).

(17) سورة الزلزلة، آية (8).

(18) التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري. المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر.سنة 1990م.ص 157.

(19) حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث. دار الوفاء.الإسكندرية.مصر. د.ت. ص 37 و 38.

(20) أي الجدّ للأب، والجدّ للأم.

(21) أي اللَّبؤة، أنثى الأسد.